المفاجأة، فان ذلك يعود الى توقع حصول شيء ما دون معرفة توقيته بالضبط، ولكنه لا يعود الى التركيز على الطابع الشعبي للانتفاضة وبساطة أدواتها نسبياً، مقارنة بما خبرناه في لبنان.

كوهين: ولكن مع ذلك كله، فقد كانت مفاجئة. فثمة القدرة على التنظيم الداخلي، التي تعيد الى الذاكرة، الى حدّ قريب او بعيد، قدرة ضبط النفس داخل الييشوف اليهودي في فترة الانتداب. انها انتفاضة شعبية مباغتة، على حد وصفك؛ ومع ذلك منضبطة؛ ولا يمكن الاستخفاف بحقيقة أنهم لم ينتقلوا الى استخدام السلاح الناري.

رابين: ان عدم استخدام السلاح الناري هو تعبير عن حكمة الشارع، لا بسبب تعليمات من الخارج؛ أو هي تعليمات من الخارج تمّت ملاءمتها للمزاج العام في الداخل وعلى الارض. انه التقدير القائل أن أبعاد الرد لدينا واضحة تماماً في اللحظة التي يتحوّلون الى المواجهة بالسلاح؛ تلك هي حكمة الشارع. ولكن اجراء أية مقارنة بيننا وبينهم ليست أمراً وارداً. اننا لم نخض انتفاضة شعبية كهذه ضد السلطات البريطانية. لقد كان طابعها مختلفاً تماماً، وتمثل في الهجرة ـ ب [الهجرة السرية التي نظمتها الحركات الصهيونية في الاربعينات، اضافة الى أعداد المهاجرين المقررة سنوياً من جانب السلطات البريطانية]، وفي أعمال عسكرية نفذّتها منظمات سرية، وفي الاستيطان، وفي النشاط السياسي. لم نقذف البريطانيين بالحجارة، وكان وجودهم هنا مجرد سلطة حاكمة فقط، بدون عنصر وجود مواطنين بريطانيين في وسط الييشوف اليهودي. وبالتالي، فان المقارنة غير واردة. ويجب الاشارة الى أن الجانب الاصعب في هذا الصراع هو الصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي. ذلك اننا لا نتوق الى مصر أو الى الاردن. ربما هناك من لديه هذه الرغبة، ولكن لسنا كذلك. اننا لم ننقش على علمنا، اطلاقاً، «للاردن ضفتان...». الجدل الدائر، هنا، يتعلق بالمواجهة بين شعبين، وليس بين شعب أو ييشوف، من جهة، وسلطة حاكمة، من جهة أخرى، لا تملك قاعدة بين السكان، بل مفروضة عليها.

كوهين: ولكن الحقيقة هي أن السكان الفلسطينيين في المناطق [المحتلة]... أدركوا، بذكاء، أن الانتفاضة الشعبية هي أكثر نجاعة وتأثيراً من «الارهاب». اني أشبه انتفاضتهم الشعبية بالهجرة ـ ب في «نضالنا». لقد كان للهجرة ـ ب تأثير في نضالنا أكبر بكثير من النضال المسلح الذي قامت به جميع التنظيمات في حركة التمرد [ضد الجيش البريطاني]. ولكننا، هنا، لم نشعر بأي الحاح. وأعني بذلك أنه خلال السنوات الاولى اعتقدنا بأننا نستطيع العيش مع الاحتلال [١٩٦٧]، بدون ضم، بل بمجرد أن نخدع أنفسنا بامكان وجود احتلال مستنير. وتدريجياً، حصل أمران: نما جيل فلسطيني جديد، ناضج سياسياً؛ فيما تحول الاحتلال، بالضرورة، الى مستويات اقل استنارة. ولا يتعلق ذلك بأي تغيّر في المحتل ذاته، بل بمجرد تراكم الاحساس بالاذلال؛ اذ كيف يمكن، على الرغم من كل شيء، أن تدفع السكان الى ذلك المستوى من التضحية؟ ان تلك القدرة تعيد الى ذاكرتي مجموعة العوامل التي تفاعلت لدينا ومكّنتنا من الانجازات خلال السنوات ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩.

رابين: كما ترى، يا غابي، أنت مؤرخ؛ أمّا أنا، فلا. ومع هذا أدركت ان التاريخ لا يعيد نفسه. وهذا لا يعني انه يجب عدم التعلّم من التاريخ. ولكن ميلك الى اجراء المقارنة لا يعجبني. اعتقد بأنك تقارن أموراً خارجية، في حين أن الجوهر مختلف. ومثل هذه المقارنة غير صحيح. ان الصراع ضد البريطانيين كان في مواجهة سلطة أجنبية ليست لها قواعد بين السكان. امّا هنا، فالمواجهة هي بين كيانين سياسيين دينيين ووطنيين؛ وبالتالي، فان أية مقارنة تصبح غير واردة.

كوهين: لقد استبقت الحديث بالقول اني، من ناحية منهجية فحسب، لا اتفق معك، يا اسحق؛ بل اني استطيع ان اعطيك أمثلة عدّة على عبر التاريخ المزعجة. والمثال الكلاسيكي هو اتفاق ميونيخ. اني أتمسك بالنماذج التاريخية، من الناحية المنهجية فقط.

رابين: ومن الجائز أن يحدث خلط ما بين المنهج والجوهر. اني لا أشك، اطلاقاً، في ان المواجهة كان من شأنها أن تصبح أكثر حدة بكثير، لو أن الفلسطينيين اختاروا استخدام السلاح ـ وفي ما يبدو أنه متناقض ظاهرياً ـ ان نصبح، أيضاً، أقل قمعاً واضطهاداً. ان المشكلة التي تواجهنا هي كيف ننقل بؤرة الاهتمام من نهج الانتفاضة واسلوبها الى اهدافها؟ وهذه مسألة صعبة، خاصة عندما تظهر المواجهة، أيضاً، على الشاشة الصغيرة. نساء واطفال ومدنيون ينشطون ضد لابسي الزي العسكري المسلحين. ولكن بمجرد ان تقدمت حكومة اسرائيل، في أيار (مايو)، بخطة سياسية شاملة، تبدّل وضعنا الاعلامي، مؤقتاً على الاقل. كنّا، قبل ذلك، نبدو كمن يحاول فرض النظام